


## ٢ – ديان : الانسحاب من خط القناة

فى الساعة السادسة والدقيقة الخامسة عشرة من صباح يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ فى نيويورك ، أيقظوا الدكتور هنرى كسنجر من نومه حيث كان يقيم فى فندق وولدورف ، استعداداً لحضور اجتماعات الجمعية العمومية للأمم المتحدة . كانت قد وصلت برقية عاجلة[١] من السفير الأمريكى فى تل أبيب « كنيث كيتنج » يخطر فيها الولايات المتحدة أن جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل استدعته قبل ساعتين فى مكتبها فى يوم السبت ، وهو يوم عيد كيبور – الغفران – لابلاغه بالموقف « إن تحركات القوات المصرية والسورية التى اعتقدت كل من الولايات المتحدة وإسرائيل ، أنها مناورات عسكرية ، أخذت تقوم بدور مقلق ... لقد أصبح مؤكداً لدى إسرائيل ، أن هجوما مشتركا من المصريين والسوريين سيشن عليها بعد ظهر اليوم . ثم استطردت مائير قائلة : طالما أن العرب يعتقدون أنهم خاسرون ، فإن الأزمة لا بد ناشئة من جهلهم بنوايا إسرائيل . فهل تستطيع الولايات المتحدة أن تبلغ وبصورة سريعة ، أنه ليست هناك نية لإسرائيل بمهاجمة مصر أو سوريا . وبرهاناً منها على حسن نواياها ، فإنها تمتنع عن استدعاء احتياطيها وإعلان التعبئة العامة » .

ويقول كسنجر « عندما أيقظنى سيسكو ( مساعد كسنجر ) ، لم يكن باقيا على ما يدعى بالسلام فى الشرق الأوسط سوى تسعين دقيقة . لقد استطاعت كل من مصر وسوريا ، وبمهارة غريبة ، إخفاء استعداداتها الحربية ، حتى أصبح شبه مؤكد لدى إسرائيل أن الهجوم لن يبدأ قبل أربع ساعات .

---

( ١ ) مذكرات كسنجر فى البيت الأبيض – ترجمة خليل فريجات – الجزء الرابع – ص ٢٦٣ – ٢٦٦ .

وإنى على يقين بأن الدبلوماسية فاشلة بل عاجزة ، إذا كان الهجوم العربى مهيأ له بحساب . ورأيى كان لا يزال خاطئاً نتيجة للتقارير الواردة من إسرائيل ، ومعلوماتنا الخاصة ، والتى بموجبها أتمكن من القول بأن الهجوم ربما كان مستحيلاً ... » .

ومنذ الصباح الباكر يوم ٦ أكتوبر ، بدأ الدكتور كسنجر مستشار الرئيس الأمريكى نكسون اتصالاته بالدكتور محمد حسن الزيات وزير الخارجية الذى كان موجوداً فى نيويورك ، لاخطاره بموقف إسرائيل الذى وصل من تل أبيب . وعاد كسنجر بعد نصف ساعة (الثانية إلا الربع بتوقيت القاهرة) ليكرر للدكتور الزيات التزام إسرائيل بعدم الهجوم وضمان الولايات المتحدة لذلك . وعندما وصلت هذه المعلومات من الدكتور الزيات إلى القاهرة ، كانت الحرب قد بدأت .

طلب الدكتور كسنجر[1] من الدكتور الزيات وقف العمليات الحربية وعودة قوات الطرفين إلى خطوطها الأولى ، إلا أن الدكتور الزيات رفض المنطق الأمريكى إلا إذا كان يعنى العودة إلى خطوط ٥ يونيو ١٩٦٧ .

ومع فشل الدكتور كسنجر فى محاولته منع الحرب أولاً ، ثم وقفها بعد أن بدأت ثانياً - حسب قول السيد حافظ إسماعيل مستشار الأمن القومى فى مصر - فقد توجه كسنجر إلى السعودية والأردن فى محاولة لمنع توسيع قاعدة العمليات العسكرية . كما طلب من الملك فيصل التدخل لدى مصر وسوريا بغرض وقف العمليات ، استناداً إلى أن إسرائيل يمكنها خلال أيام - عندما تستكمل تعبئة احتياطيها - دحر الهجوم العربى . إلا أن الملك فيصل رفض المبادرة الأمريكية ، ما لم يتقرر الانسحاب الإسرائيلى والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطينى ... بينما بعث للرئيس السادات رسالة يؤكد فيها « إننا بجانبكم بكل إمكانياتنا داعين للجيش المصرى » .

□ □ □

كان ذلك جزءاً من العمل فى الجبهة السياسية يوم ٦ أكتوبر ، بينما القتال كان دائراً فى الجبهتين المصرية والسورية فى منطقتى قناة السويس والجولان .

ولا شك أن إسرائيل كانت قد ركزت جهدها - تخطيطاً وتنفيذاً - ليكون عبور قواتنا للقناة وإيقاع الهزيمة بالقوات الإسرائيلية أمراً مستبعداً ، وبالتالى يتحقق لها المحافظة

---

(١) محمد حافظ إسماعيل - أمن مصر القومى - ص ٣١٣ ، ٣١٤ .

على خط القناة – خط بارليف – واستمرار احتلال سيناء . ومعنى ذلك أن تفقد مصر الأمل فى نجاح العمل العسكرى بما يترتب على ذلك من نتائج سياسية خطيرة .

ولذلك خصصت إسرائيل القوات الكافية والمدربة للدفاع عن سيناء ، بغرض منع قواتنا من الهجوم واقتحام قناة السويس ، بدعم قوى من سلاحها الجوى .

واعتمدت إسرائيل فى خطتها الدفاعية على ثلاثة عناصر رئيسية هى : حصون خط بارليف الذى يرتكز على مانع مائى فريد فى مواصفاته الفنية ، وقواتها المتمركزة فى سيناء على أنساق تبدأ من خط القناة حتى عمق سيناء ، وسلاحها الجوى المتفوق عدداً ونوعاً وتسليحاً والذى يعمل من خمسة مطارات وقواعد جوية فى سيناء ( المليز – تماده – رأس النقب – رأس نصرانى – العريش ) ومن ست قواعد ومطارات رئيسية داخل إسرائيل ( رامات دافيد – عكير – حاتسور – حاتسريم – اللد – تل أبيب .

وكان لإسرائيل ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر فى شمال سيناء « مجموعة العمليات رقم ٢٥٢ » بقيادة الجنرال مندلر ، وهى مكونة من ثلاثة لواءات دبابات بها حوالى ٣٥٠ دبابة ولواء ميكانيكى ولواء مشاة .

أما فى جنوب سيناء فكانت هناك قوة أخرى تتكون من لواء دبابات ولواء مظليين .

ووضعت القيادة الإسرائيلية خطتها للدفاع فى جبهة القناة على أساس تقسيم الجبهة إلى ثلاثة قطاعات ، تعمل القوات فيها فى ثلاثة إتجاهات رئيسية بحيث تغطى محاور التقدم فى سيناء وهى : إتجاه القنطرة – العريش واتجاه الإسماعيلية – أو عويجلة ، واتجاه السويس – ممرات متلا والجدى .

لقد كانت القوات الإسرائيلية تحتل مواقعها فى نسقين واحتياطى . فالقوات كافية لاحتلال حصون خط بارليف لقتال قواتنا وتدميرها بالنيران أثناء عبورها القناة . ويتواجد الاحتياطى القريب من الدبابات خلفها لسرعة دعم الحصون واحتلال مواقع ضرب نار على الساتر الترابى بالضفة الشرقية للاشتراك فى قتال قوات العبور خلال فترة زمنية قصيرة من بدء الاقتحام . ثم يلى ذلك الاحتياطى البعيد من الدبابات بحجم أكبر للقيام بالهجوم المضاد ضد قواتنا التى تنجح فى العبور . ويتم ذلك بمعاونة قوية من السلاح الجوى ونيران المدفعية .

وأتاحت سنوات احتلال سيناء الفرصة للقوات الإسرائيلية للتدريب وإتقان مهامها

الدفاعية ، كما أتاحت لها فرصة التدريب على مهام العمليات المكلفة بها ، حتى أصبحت تثق فى قدرتها على منع قواتنا من العبور اعتمادا على الحصون والدبابات والسلاح الجوى

## الخطتان : برج الحمام والطباشير :

واستكمالا للخطط الدفاعية التى وضعتها إسرائيل لاستمرار احتلال سيناء والجولان ، فقد وضعت أيضا – منذ مايو ١٩٧٣ – أوامر تفصيلية للقيادة العسكرية الجنوبية ( سيناء ) والقيادة العسكرية الشمالية ( الجولان ) للتصرف فى المواقف المحتملة ، ومنها تعزيز القوات التى تدافع عن خط قناة السويس بوحدات عاملة ، وأطلق عليها اسم « عملية برج الحمام » . أما تعزيز خط الجولان فكان يتم بوحدات من الاحتياطى سميت « عملية الطباشير » . وتشمل هذه الخطط أيضا فتح واستعداد القوات الإسرائيلية استعدادا كاملا للحرب مع تعبئة الاحتياطى كله .

كنا نتوقع أن تحصل إسرائيل على معلومات ، ويتجمع لدى مخابراتها مؤشرات على أن هناك نشاطا عسكريا يتم فى الجبهتين المصرية والسورية ، وفى هذه الحالة تقوم إسرائيل بتعبئة الاحتياطى مع تنفيذ عمليتى برج الحمام والطباشير . وكان الأهم من وجهة نظرنا ألا تكشف المخابرات الإسرائيلية نوايانا الهجومية أو حجم القوات المشتركة أو الوقت المنتظر للهجوم العربى .

لقد شاهدت إسرائيل بعض الأشجار ، ولكنها لم تر الغابة كما يقولون . فقد علمت إسرائيل أننا نقوم « بمناورة عسكرية للتدريب » ، ولم تستنتج أنها استعداد للحرب . لقد تكررت عمليات حشد قواتنا للتدريب ، وكان يصاحبها فى بعض الحالات تصريحات سياسية تعطى الانطباع بأننا نستعد للحرب أو مقدمون عليها . وكان العدو يواجهها برفع درجة استعداد قواته وإعلان التعبئة الجزئية ، الأمر الذى كان له أثره على النواحى الاقتصادية وسير الحياة فى إسرائيل . وباستمرار الحشد والتدريب من جانب قواتنا تعوَّد العدو عليها ، وأصبح يواجهها برفع درجات استعداد القوات فى سيناء دون التسرع بإعلان التعبئة والحشد .

وقد علمت إسرائيل أيضا أننا قمنا باستدعاء الاحتياطى قبل الحرب ، وعندما تأكدت أننا قمنا بإعادة بعض قوات الاحتياطى لأعمالهم – قبل ٦ اكتوبر بأيام قلائل اقتنعت المخابرات الإسرائيلية بأنه كان استدعاء دوريا للتدريب وليس للحرب

ولا شك أنها تابعت مدمراتنا أثناء إبحارها فى البحر الأحمر إلى بورسودان ثم عدن فى طريقها إلى آسيا ، ولم يصل إلى تفكير المخابرات الإسرائيلية أن مدمراتنا ستتمركز فى باب المندب للتعرض لخطوط المواصلات البحرية الإسرائيلية .

وقد ساعد على نجاح « خطة المفاجأة » التى حققناها الثقة المفرطة التى أصابت القيادة العسكرية الإسرائيلية ، والتى أدت إلى اقتناعها بعدم قدرة قواتنا على اقتحام قناة السويس والقيام بعملية هجومية ناجحة ، وإن لم تستبعد قيام قواتنا ببعض الاغارات البرية المحدودة أو الاغارات الجوية أو اشتباكات بنيران المدفعية بصورة تشابه ما تم فى حرب الاستنزاف .

ومما ساهم أيضا فى نجاح خطة المفاجأة العربية هو التمسك المتزمت من جانب المخابرات الإسرائيلية بأن مصر لن تشن حربا إلا إذا حصلت على نوع من الطائرات التى تمكنها من مهاجمة عمق إسرائيل وخاصة قواعدها الجوية الرئيسية لضمان شل السلاح الجوى الإسرائيلى .

ومن هنا اقتنعت المخابرات الإسرائيلية بأنه عندما تتكامل المعلومات لديها ، سيكون هناك فترة إنذار مدتها ٤٨ ساعة قبل نشوب الحرب ، وهى الفترة الكافية لإعلان التعبئة العامة للاحتياطى .

وفى رأى الدكتور كسنجر أن المفاجأة العربية التى تمت « كانت وليدة تفسير سقيم لوقائع اطلع عليها الجميع ، ولم يكن يخفيها أى ستار من المعلومات المتناقضة . لم يبخل السادات عن إعلامنا وبكل جرأة عن نواياه ، لكننا لم نصدقه . لقد أغرقنا بالمعلومات ، لكن استنتاجاتنا كانت غير صحيحة . والسادس من اكتوبر دلَّ على فشلنا فى تحايلاتنا السياسية »

ويستطرد كسنجر فى حديثه الطويل عن المفاجأة فى مذكراته ويقول « كل تحليل إسرائيلى أو أمريكى قبل اكتوبر ١٩٧٣ ، كان يؤيد ما كنا نفكر فيه ، وهو أن مصر وسوريا لا تملكان الإمكانيات العسكرية اللازمة لاستعادة أراضيهما بقوة السلاح . إن الجيوش العربية كان مصيرها إلى الفشل ، وهذا ما يحملنا على الاعتقاد بأنها لن تهاجم . إن الحدس كان صحيحا لكن الاستنتاج كان خاطئا » .

وبرغم ذلك ، وتنفيذا لعمليتى « برج الحمام والطباشير » ، فقد عززت إسرائيل قواتها فى جبهتى القناة والجولان يوم ٥ اكتوبر ، واستكملت قواتها التى تدافع عن خط القناة وبصفة خاصة حصون خط بارليف ، وقامت المدفعية باحتلال مرابض نيرانها على الجبهة المصرية . وفى نفس الوقت رصدت المخابرات الحربية المصرية وصول بعض أفراد من الاحتياطى الإسرائيلى إلى مخازن الطوارىء فى سيناء ، كما تأكد لها وصول دبابات إسرائيلية محملة على جرارات إلى سيناء فى نفس اليوم .

ولذلك بدأت المواجهة عنيفة منذ بدء الحرب . وقامت قوات خط بارليف بدور رئيسى فى قتال يوم ٦ اكتوبر ، وصمدت قوات بعض الحصون وقتا طويلا .

## بارليف والخط :

لقد قاتلت القوات الإسرائيلية فى خط القناة بشدة نتيجة للتعزيزات التى وصلتها ورفع درجة استعدادها .

وكما قال ديان « لقد كان الهجوم المصرى والسورى في يوم كيبور - ٦ اكتوبر - مفاجأة برغم أنه كان متوقعا . وحل يوم كيبور والقوات الإسرائيلية - قوات الاحتياطى - لم تعبأ بعد ، ولم تنتشر بكل قوتها إلا أن ذلك لا يعنى أنها لم تكن مستعدة للحرب . ويجب أن نضيف أن قوات العدو ( العرب ) قد شنت هجومها بكفاءة أكبر بكثير مما كان مقدرا عند وضع خططنا» .

وهنا لابد أن أشير وأوضح أن بعض الكتب المنحازة لإسرائيل والآراء التى أبداها بعض المؤيدين لها ، حاولت التقليل من الأهمية العسكرية لخط بارليف بعد أن سقط فى أيدى قواتنا ، وذلك للتقليل من حجم الانجاز العسكرى المصرى . ووصلت درجة الاستخفاف بالعقول أن يكتب أحدهم أن « خط بارليف كان خطا رفيعا من المواقع الحصينة الأمامية التى تساعد على المراقبة ، وتوفير قاعدة المناورة للقوات المدرعة خفيفة الحركة » .

ولعلنا نتذكر ما أجمعت عليه كل الآراء ، من أن انهيار هذا الخط وضع النهاية لخط دفاعى محصن ، أصبح مع مرور الزمن رمزا في العالم يمثل القدرة والقوة العسكرية الإسرائيلية على منع المصريين من اقتحام القناة وتدميره ، وأصبح الخط الذى يعطى لإسرائيل وحكامها وقادتها العسكريين الطمأنينة والأمن .

لقد كان الوجود العسكرى الإسرائيلى على الضفة الشرقية للقناة يمثل تطبيقا ضروريا لنظرية « الحدود الآمنة » حيث كانت القناة تشكل المانع الطبيعى القوى الذى يحقق هذه الحدود على الجبهة المصرية ، وبالتالى فقد فرض التزاما عسكريا على الجيش الإسرائيلى هو رفض أى نجاح للقوات المصرية بعبور القناة أو الحصول على موطىء قدم فى سيناء . ومن هنا فإن نظرية خط بارليف قد اكتسبت مضمونا إستراتيجيا حيويا ، ذلك لأن سقوط الخط ذاته كان يعنى انهيارا أساسيا فى نظرية الأمن الإسرائيلى وحدودها الآمنه .

وقد اتفقت الآراء فى إسرائيل على أن الوجود العسكرى على خط القناة كان ضرورة إستراتيجية ، وإن اختلف قادتها فى الأسلوب الذى يحقق هذا الوجود . لقد عارض البعض فكرة إقامة التحصينات ورأى ضرورة استخدام الدبابات كقوة نيران متحركة ، بينما تمسك الآخرون بضرورة إقامة استحكامات قوية ومحصنة قادرة على تحمل نيران المدفعية وفى نفس الوقت القتال بالنيران لتدمير أى قوات مصرية تحاول العبور . وانتصرت نظرية رئيس الأركان الإسرائيلى الجنرال بارليف ونفذت فكرته .

وأصبح الخط ثمرة عمل عسكرى يؤدى مهام قتال هامة ورئيسية ورمزا لقوة إسرائيل التى تفرض الأمر الواقع على العرب .

□ □ □

وقد مر إنشاء الخط بعدة مراحل انتهت بأن تحولت التحصينات إلى منشآت هندسية ضخمة مزودة بكل وسائل القتال والاقامة . أنشئت هذه المواقع على طول المواجهة الصالحة من القناة والتى تبلغ ١١٠ كيلومترات ، وبلغ عددها ٢٢ موقعاً دفاعياً تشمل ٣٦ نقطة حصينة تسيطر على المواجهة كلها والأجناب والخلف ، وجهزت مرابض نيران دبابات فى الفواصل بينها بلغ عددها ٣٠٠ مربض دبابة . وتم اختيار مواقع هذه النقط الحصينة بحيث تغطى كل الاتجاهات الصالحة لعبور القناة وتقدم القوات فى سيناء . وكان كل منشأة هندسية تتكون من أكثر من طابق واحد تبدأ من باطن الأرض حتى تعلو قمة الساتر الترابى ، وحصنت مبانيها بالأسمنت المسلح أو الكتل الخرسانية أو قضبان السكك الحديدية والرمال والأتربة ، بحيث توفر وقاية كاملة ضد الإصابة المباشرة لجميع أنواع قذائف المدفعية وقنابل الطائرات التى تزيد على ألف رطل .

وجهزت معظم النقط الحصينة بخزانات للوقود والمواد الملتهبة يصل الوقود منها خلال أنابيب خاصة إلى سطح المياه ، وباشعالها تتحول القناة إلى مسطح هائل من اللهب ثبت بالتجربة أن حرارته بلغت ۷۰۰ درجة مئوية . وزودت كل نقطة حصينة بمواد ومخزونات تحقق اكتفاء ذاتيا إداريا لمدة ١٥ يوماً . أما الاكتفاء الذاتي القتالي فيمكنها من صد قوة قدرت بكتيبة مشاة لمدة أسبوع . وفي ضوء هذه الحقيقة الأخيرة ، فإن خط بارليف بنقطه الحصينة التي بلغت ٣٦ نقطة كان قادرا على صد هجوم ٣٦ كتيبة . هذا بالاضافة لمئات الدبابات المعدة لاحتلال مرابضها فوق الساتر الترابي بخلاف ما هو موجود في العمق من إحتياطيات مدرعة .

وكاحصائية للمنشآت الرئيسية التي وجدت في نقطة واحدة وجدنا الآتي :

٢٦ دشمة للرشاشات المتوسطة والثقيلة
٢٤ ملجأ للأفراد
٤ دشم للأسلحة المضادة للدبابات
٤ دشم للأسلحة المضادة للطائرات
٣ مرابض دبابات
٦ مرابض للهاونات
١٥ نطاقاً من الأسلاك الشائكة بينها حقول ألغام وشراك خداعية .

□ □ □

كان كل هذا الوصف السابق ينطبق على الخط الأول فقط . وفي الواقع فإن ما أطلق عليه « خط بارليف » لم يكن دفاعا خطيا هامشيا ، بل كان نظاما دفاعيا متكاملا تم تجهيزه هندسيا تجهيزا عاليا ، يبدأ من خط القناة ويمتد شرقا بعمق حوالي ٣٠ كيلومتراً ، يشمل سلسلة من الخطوط والسواتر الأخرى في العمق كمرابض للدبابات ، ومناطق قتال للمدرعات ، وقواعد لشن الهجمات المضادة في اتجاه خط القناة .

بالاضافة لذلك ، كان هناك خط التحصينات الثاني على مسافة ٥ – ٨ كيلومترات يحتوى على ١١ موقعاً محصنا ، ومراكز قيادة للقطاعات تحت الأرض محصنة تحصينا

كاملا ، وقواعد صواريخ مضادة للطائرات ، ومرابض نيران مدفعية ذاتية الحركة وبعيدة المدى .

وخصص لهذه المنطقة الدفاعية الاحتياطات المدرعة والمشاة الميكانيكية ووحدات المدفعية وعناصر الدفاع الجوى ، وكلها مدربة تدريبا عاليا على أداء مهامها .

لقد أردت بهذا الشرح الطويل أن أسجل الحقائق التى لا يمكن إغفالها عند تقييم « خط بارليف » .

فهو الخط المحصن الذى أجمعت آراء الخبراء والعلماء العسكريين ، على أنه خط دفاعى كامل التحصين جعلت منه قناة السويس حالة فريدة فى التاريخ العسكرى . لذلك أصبحت عملية اختراقه كجزء من العملية الهجومية لاقتحام قناة السويس ، مثالاً فذاً لأسلوب اقتحام الموانع المائية والخطوط المحصنة فى آن واحد .

ولقد سجل ت . ديبوى المؤرخ العسكرى الامريكى رأيه بقوله :
« يكفى أن أقول أن كفاءة الاحتراف فى التخطيط ، والأداء الذى تمت به عملية العبور ، لم يكن ممكنا لأى جيش آخر فى العالم أن يفعل ما هو أفضل منه . ولقد كانت نتيجة هذا العمل الدقيق من جانب أركان الحرب ، وعلى الأخص عنصر المفاجأة التى تم تحقيقها ، هو ذلك النجاح الملحوظ فى عبور قناة السويس على جبهة عريضة . ولقد كان العبور المصرى هو أعظم منجزات الحرب »

ويشاء القدر أن يترك الجنرال بارليف الخدمة العسكرية — رئيسا للأركان — ليتولى وزارة التجارة والصناعة ، بعد أن سجل إسمه فى التاريخ العسكرى لإسرائيل بهذا الخط الدفاعى الحصين . ثم استدعى للخدمة العسكرية خلال حرب اكتوبر حتى يساهم فى العمل لإنقاذ الخط الذى يحمل إسمه ، وقد كان الوقت متأخرا .
فقد سقط الخط وبقى الرجل .

انتهى اليوم الأول للقتال بعد أن حققت قواتنا المسلحة إنجازا عسكريا كبيرا ، كما حققت القوات السورية نجاحاً مماثلا فى هجومها بالجولان ، وأصبحت القوات الإسرائيلية فى موقف صعب على ضوء الحقائق الجديدة التى أصبحت واضحة للأطراف المتحاربة .

ارتفعت الروح المعنوية لقواتنا ، وعم الفرح فى مصر وسوريا وباقى الدول العربية . وكنا فى القيادة العامة نقدر اننا مازلنا فى أول الطريق ، ونتابع القتال الدائر ليلا ، وتدفق القوات شرقا بينما تعمل القوات الإسرائيلية على صدها .

لقد نجحت قوات الجيشين الثانى والثالث فى اقتحام القناة والعبور بقوات وصل عددها ليلة ٦ / ٧ اكتوبر إلى حوالى خمسين ألف مقاتل فى الضفة الشرقية للقناة من بورسعيد شمالاً حتى السويس جنوبا ، معهم حوالى ثلاثمائة دبابة وعدد مناسب من الأسلحة المضادة للدبابات والصواريخ المضادة للطائرات التى يحملها الأفراد ، تغطيها نيران حوالى ١٨٠٠ ( ألف وثمانمائة ) مدفع ميدان . وكان على قواتنا أن تبذل جهدا مستمرا متجددا لاستكمال ماحققته من نجاح بتوسيع رءوس الكبارى للفرق الخمس وتدمير قوات العدو التى تواجهها ، وكانت القوات الإسرائيلية تعمل على منع تثبيت هذا النجاح ، وكلما مر الوقت ازداد عدد الدبابات والأسلحة الثقيلة التى تعبر . إنه صراع العقول وصراع بالنيران وصراع ضد الوقت .

وانتابنا القلق لعدم استكمال إنشاء اثنين من كبارى الجيش الثالث خلال ليلة ٦ / ٧ وهو مايعطل تدفق القوات شرقا فى هذا القطاع ، الأمر الذى جعل اللواء عبدالمنعم واصل يصدر أوامره بتحويل مرور الوحدات إلى الكبارى التى تم إنشاؤها لضمان سرعة التدفق . وقد تم تنفيذ هذا العمل بواسطة قوات العبور بالاصرار والمرونة برغم ماتحملته الكبارى التى كانت قد انشئت فى قطاع هذا الجيش من عبء المرور الكثيف يعادل ضعف حركة المرور على الكبارى كما كان مقدراً ..وما كان يمكن أن يتم ذلك إلا بالانضباط الشديد مع كفاءة التنفيذ تحت نيران العدو .

لقد اعتمد العدو على عناصر ثلاثة رئيسية لمنع قواتنا من العبور ، وتدمير مايصل منها إلى الضفة الشرقية ، وهى حصونهم ودباباتهم وسلاحهم الجوى .

أما عن حصونهم ، فقد سقط منها ١٥ حصنا تمثل نصف عدد حصون خط بارليف ، وأصبحت الحصون الباقية تحت الحصار ، وليس أمام القوات التى تقاتل داخلها إلا الموت أو الهروب أو الإستسلام . ومن العادات المتبعة فى الجيش الإسرائيلى أن يحاولوا تخليص من يقع منهم فى الأسر ، وأن يسحبوا جثث قتلاهم لأن عدم وجود جثة المتوفى يترتب عليه عقائديا – مشاكل اجتماعية لدى اليهود ، ومن هنا حاولت بعض الوحدات الصغرى من الدبابات الإسرائيلية شق طريقها إلى

الحصون لانقاذ من هم فيها إلا أن هذه المحاولات فشلت أمام نيران قواتنا الموجودة على الضفة الشرقية . وكان من الطبيعى أن يتمكن بعض أفراد الحصون من الهروب ليلا ، ويفشل البعض الآخر .

وقد بذلت قوات الجيش جهدا كبيرا لحصار النقط المحصنة وإسكات نيرانها ، وفى نفس الوقت صد هجمات العدو المضادة التى قام بها باحتياطياته المحلية المكونة من سرايا دبابات مدعمة . ولقد وصل عدد هذه الهجمات المضادة ثمانى هجمات فشلت كلها . وكان فى تقديرنا – وتقدير القيادة الإسرائيلية أيضا – أن خط بارليف فقد قيمته العسكرية بعد أن سقط نصف عدد الحصون ، وفقد حوالى مائة دبابة تمثل ثلث دباباتهم التى تقاتل فى الخط الأمامى .

أما عن سلاحهم الجوى ، فقد أبدى نشاطا ملحوظا لمنع انشاء الكبارى ، واستمر نشاطه ليلا ولكن قوات الدفاع الجوى أجبرته على الابتعاد وحرمانه من تقديم المعاونة الجوية لقواته البرية . لقد تعودت قوات الجيش الإسرائيلى أن تقاتل معتمدة اعتمادا كاملا على معاونة السلاح الجوى ، ولكن الوضع الجديد أصبح مختلفا وعادت القوات الإسرائيلية إلى مستوى كفاءتها الحقيقى .

ووصلت مجموعة العمليات رقم ٢٥٢ بقيادة الجنرال مندلر – قائد القوات المدرعة فى سيناء – التى كانت فى عمق سيناء ، وأصبحت فى خط المواجهة مع قواتنا التى عبرت . وكان على قوات الجيشين أن تستعد لمواجهة دبابات مندلر فى اليوم التالى ( ٧ اكتوبر ) . وكان على قواتنا الجوية وقوات الدفاع الجوى أن تستعد أيضا لمواجهة السلاح الجوى الإسرائيلى الذى ينتظر أن يتدخل فى أعمال القتال بنشاط زائد .

وكنا فى القيادة العامة قد توقعنا رد فعل العدو المنتظر فى هذا الموقف بعد نجاح عبور قوات الجيشين ، وكانت هذه القوات جاهزة لمواجهته .

□ □ □

وفى اسرائيل عقد مجلس الوزراء اجتماعا فى الساعة العاشرة مساء يوم ٦ اكتوبر ، قدم فيه كل من الجنرال اليعازار رئيس الأركان والجنرال ديان وزير الدفاع تقريرا عن أحداث اليوم ، وما ينتظر القيام به من أعمال فى الأيام التالية .

بنى ديان تقديره للموقف على أن إسرائيل تواجه ثلاثة عوامل صعبة – على حد

تعبيره – أولها حجم القوات المصرية والسورية التى لم تصبح هى الجيوش التى عرفها فى حرب يونيو ١٩٦٧ حيث أنها أصبحت قوات جيدة تحارب بتصميم . والعامل الثانى هو شبكة الدفاع الجوى المعادية التى تشكل مشكلة عويصة للسلاح الجوى الإسرائيلى والعامل الثالث أنه لا بد من مرور فترة من الوقت حتى يصل الاحتياطى إلى الجبهات

وكان رأى ديان الذى أدلى به فى مجلس الوزراء كما جاء فى مذاكراته الآتى :

– أبديت شكوكى فيما إذا كان فى قدرتنا أن نعرقل بصورة جادة عبور القناة لفترة قادمة تتراوح بين ٢٤ – ٣٦ ساعة . ومعنى ذلك أنه سيكون أمام المصريين ليلتان لإقامة مزيد من الكبارى تتدفق عليها قوات أخرى إلى سيناء .

– وأوضحت أن منطقة القناة هى ميدان المعركة الخطير ، وأن سلاحنا الجوى سوف يواجه تحديا قاسيا عندما يبدأ القتال فى اليوم التالى . وسوف نكون فى حاجة إلى قدر كبير من الحظ لإنهاء معركة اليوم التالى لصالحنا .

– وبعد ذلك ، فى يومى الاثنين والثلاثاء ٨ ، ٩ اكتوبر سيكون لدينا كل القوة المدرعة حسب الخطة ، وسيكون فى استطاعتنا الاشتباك فى حرب دبابات . ولن يكون الأمر سهلا إلا أن احتمالات النجاح طيبة .

– وعلى ذلك بدت لى ضرورة انسحابنا فى الجنوب ( جبهة القناة ) إلى خط ثانٍ ، والقتال ضد المصريين فى نطاق إثنى عشر ميلا من القناة . أما فى الشمال ( الجولان ) فإنى أتوقع نجاحنا فى إيقاف السوريين عند الحدود .

– عبرت عن أفكارى وأعلنت وجهة نظرى . وفى نهاية الاجتماع لم أشعر أنا و لم يشعر الوزراء بالارتياح . وكنت أشعر بالتوتر والارهاق وبوجود هوة بينى وبين زملائى الوزراء ، إذ لم تعجبهم أقوالى عن نجاح المصريين ، وكذلك آرائى بشأن الانسحاب إلى خط ثانٍ ، إذ كانوا يريدون من الجيش أن يرد المصريين على أعقابهم عبر القناة فى الحال .

و لم يكن ثمة إلتقاء فى التفكير بيننا ، فقد تسلط عليهم التفاؤل الذى ظهر فى العرض الذى قدمه رئيس الأركان ، وفوق كل شىء أمانيهم المبنية على الخيال .

كان ذلك هو رأى ديان الذى قدمه إلى مجلس الوزراء الإسرائيلى مساء يوم ٦ اكتوبر ، وهو رأى لم ينفذ لأن إسرائيل كانت تستلهم رأى الولايات المتحدة الأمريكية ، وكان للولايات المتحدة رأى آخر .